فالله تعالى- إذًا- قد اختار لنفسه أكمل الأسماء وأتمها معنى؛ فالمعنى أن تقول: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف:180]، أي: لله أكمل الأسماء وأتمها معنى، فأسماء الله عزوجل كاملة في الحُسن، بالغة في الحسن غايته.

وبالتالي لا يمكن أن نزيد عليها، وليس لنا الحق أن نُطلق من بعض صفات الله أسماء عليه سبحانه؛ فالله سَمَّى نفسه السميع، وسمى نفسه الحي، وسمى نفسه العليم، ونعم له صفة الحياة والعلم والسمع والبصر وهكذا، ووصف نفسه بالكلام، ولكنه ما سَمَّى نفسه: المتكلم، ووصف نفسه بالإرادة؛ فقال عز وجل: ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج:16]، وما سمى نفسه: المريد، فالله تعالى اختار لنفسه أكمل ما يكون في المعنى، وهذه وإن كانت صفات كاملة، لكن الأسماء- كما يقول العلماء: «من شرط الأسماء الحسنى صحة الإطلاق»؛ بمعنى: أن يقتضي الاسم المدح والثناء بنفسه بدون متعلق أو قيد. وهذا الشرط هو الذي يميز باب الأسماء عن باب الصفات[1]؛ فأنت- مثلًا- في الصفة تقول: كلام الله، إرادة الله، لكن في الاسم تطلق: (العليم- السميع- البصير)؛ فإذا كان هذا اللفظ في حال إطلاقه منقسمًا يحتمل المدح ويحتمل الذم، أو يحتمل الخير ويحتمل الشر، أو يحتمل الكمال ويحتمل النقص- لم يصح إطلاقه في حق أسماء الله تعالى؛ فالمتكلم قد يتكلم بصدق وقد يتكلم بكذب؛ فأصبح الوصف في حال إطلاقه منقسمًا؛ فلا يصح أن يطلق على الله عزوجل؛ قال ابن القيم: «فما كان مُسَمَّاه منقسمًا وخير وشَرٍّ- لم يَدخل اسمُه في الأسماء الحسنى؛ كالشيء والمعلوم، ولذلك لم يُسم بالمريد، ولا بالمتكلم، وإن كان له الإرادة والكلام؛ لانقسام مسمى المريد والمتكلم، وأما الموجد فقد سَمَّى نفسه بأكمل

---

(1) انظر «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى» للشارح (ص50)، ، دار أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1999م.

أنواعه، وهو الخالق، البارئ، المصور، فالموجد كالمحدث والفاعل والصانع. وهذا من دقيق فقه الأسماء الحسنى؛ فتأمله، وبالله التوفيق»[2].

وقال- أيضًا- رحمه الله: «إنَّ الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يُطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط من سَمَّاه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفَعَّال لما يريد، فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلًا وخبرًا»[3].

فالله- تعالى- اختار لنفسه أكمل وأتم ما يكون في المعنى.

فتأمل هذا ويجب أن تتأدب مع أسماء الله عزوجل؛ فتنظر إلى جميع أسمائه- تعالى- على أنها تحوي الكمال كله، وعلى أنها هي الغاية في الكمال والحُسن.

فالمعنى: لله أحسن الأسماء وأكملها وأتمها معنى؛ لذا يجب أن نتأدب مع أسماء الله عزوجل بهذا الأدب، وأن نعتقد الاعتقاد الجازم أن لله تعالى في تلك الأسماء أكمل ما يكون من المعنى، وهذا- أيضًا- متأكد في صفاته كما سيأتي.

وقد ضرب المصنف هنا على هذه القاعدة أمثلة؛ منها: «الحي»؛ فبين أنَّه اسمٌ من أسماء الله تعالى مُتضمن صفة وهي الحياة، وحياة الله- تعالى- هي الحياة الكاملة الدائمة التي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها فناء، ولا يعتريها نقص بأي وجه من الوجوه؛ فتَثبت لله تعالى أكمل ما يكون في هذا المعنى من كمال، وهكذا في سائر أسماء الله تعالى.

---

[2] «مدارج السالكين» (3/ 415، 416).

[3] «فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى» لابن القيم (ص 24)، نشر دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى، 1424هـ- 2003م.

وكذلك «العليم»؛ فعلم الله كما قال: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق:12]، فالله عَلِمَ الأشياء حتى قبل كونها، فعندما خَلَقَ القلم قال له: «**اكْتُبْ**». قال: رَبِّ، وماذا أكتب؟ قال: «**اكْتُبْ مَقاديرَ كلِّ شيء حتى تقومَ السَّاعةُ**»(4)، فأمره بكتابة كل شيء، في هذا الكون، فكل ما في هذا الكون هو في علم الله عزوجل لا تخفى عليه خافية، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران:5]، ولا يعزب عن علمه أي شيء، قال عز وجل: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس:61]، وهذا العِلم لا يُصاحبه نسيان، قال جل جلاله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم:64]، فعلم الله- جل جلاله- كامل تام.

وكذلك مع اسم الله: «الرحمن»، واسمه تعالى: «العزيز الحكيم»...، وسائر أسماء الله لا بد من مراعاة هذه القاعدة.

وتأدُّبك مع جميع أسماء الله تعالى بهذا الأدب، ونظرك إليها على أنها أعلى درجات الكمال- يُحفزك على أن تتأمل في معانيها وفيما دَلَّت عليه مما يليق بالله عزوجل.

---

(4) أخرجه أبو داود (4700) واللفظ له، والترمذي (2155) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2645).